

(١٠٧) سورة الماعون

فى رهاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها سبع نزلت بعد سورة التكاثر تحدث بإيجاز عن فريقين من البشر هما.

- الكافر الجاحد لنعم الله المكذب بيوم الحساب والجزاء.
 - المنافق الذى لا يقصد بعمله وجه الله بل يرائى فى أعماله وصلاته.
- فالفريق الأول: صفاته ذميمة يهينون اليتيم ويزجرونه غلظة لا تأديبا ولا يفعلون الخير فلاهم أحسنوا فى عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه.
- والفريق الثانى: فهم المنافقون الغافلون عن صلاتهم الذين لا يؤدونها فى أوقاتها والذين يقومون بها مرائين بأعمالهم وقد توعدتهم السورة بالويل والهلاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِى يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ
الْمُسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾

معانى المفردات:

أرأيت: هل عرفت
يدع اليتيم" يدفعه دفعا عنيفا عن حقه
فويل: هلاك أو حسارة
يراءون: يقصدون الرياء بأعمالهم
يمنعون الماعون: العارية المعتادة بين الناس بخلا

يكذب بالدين: يحسد وينكر الجزاء
لا يحض: لا يبحث ولا يبعث أحد
ساهون: غافلون غير مباليين بها

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقوله ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ أستفهام للتعجب والتشويق أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة؟ هل عرفت من هو؟ وما أوصافه؟ إن أردت معرفته ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ أى فذلك هو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا بجفوة وغلظة ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ أى ولا يحث على إطعام المسكين قال أبو حيان: وفى قوله "ولا يحض" إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر، وهذا من باب أولى لأنه إذا لم يحض غيره بخلا، فلأن يترك هو ذلك فعلا أولى وأحرى^(١) وقال الرازى فإن قيل لم قال "ولا يحض على طعام المسكين" ولم يقل: ولا يطعم المسكين؟ فالجواب أنه إذا منع اليتيم حقه فكيف يطعم المسكين من مال نفسه؟ بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو النهاية فى الخسة، ويدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه^(٢) ﴿ قَوْلِ الْمَصْلِيِّ ﴾ أى هلاك وعذاب للمصلين المنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أى الذين هم غافلون عن صلاتهم بل يؤخرونها عن أوقاتها — قال ابن عباس: هو المصلى الذى إن صلى لم يرج لها ثوابا وإن تركها لم يخش لها عقابا^(٣) وقد سئل رسول الله ﷺ عن الآية فقال "هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها"^(٤) قال المفسرون لما قال تعالى ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ "بلفظة" عن "علم أنها فى المنافقين ولهذا قال بعض السلف الحمد لله الذى قال "عن صلاتهم" ولم يقل "فى صلاتهم" لأنه لو قال "فى صلاتهم" لكانت فى المؤمنين، والمؤمن قد يسهو فى صلاته، والفرق بين السهوين واضح، فإن سهو المنافق سهو ترك وقلة التفات إليها فهو لا يتذكرها ويكون مشغولا عنها والمؤمن إذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق فى السهوين ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ أى يصلون أمام الناس رياء ليقال أنهم صلحاء ويتخشعون ليقال إنهم أتقياء، ويتصدقون ليقال أنهم كرماء، وهكذا سائر أعمالهم

(١) البحر المحيط ٥١٧/٨.

(٢) التفسير الكبير ١٦٢/٣١.

(٣) القرطبي ٢١١/٢٠.

(٤) الطبري ٢٠٣/٣٠.

للمشهورة والرياء ﴿وَيَمْتَنِعُونَ أَلْمَاعُونَ﴾ أى ويمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به كالإبرة والفأس والقدر والملح والماء وغيرها قال مجاهد: الماعون العارية للأمتعة وما يتعاطاه الناس، وقال الطبرى أى يمتنعون الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها نهاية البخل وهو مغل بالمروعة^(١).

الإعراب:

أَرَاءَيْتَ الَّذِي يُكْذِبُ بِالَّذِينَ	الهمزة للاستفهام، وهى مع ما رأيت بمعنى أخبرنى وقد تقدم ذلك ويجوز أن تكون الرؤية قليلة فتعدى لمفعولين أحدهما الموصول والثانى محذوف، وقيل الرؤية بصرية فلا حاجة إلى تقدير مفعول به وجملة يكذب صلة الموصول لا محل لها بالدين جار ومجرور متعلقان بيكذب.
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ	الفاء هى الفصيحة لأنها جواب شرط مقدر والتقدير إن لم تعرفه فذلك، فذلك اسم إشارة فى محل رفع مبتدأ، الذى اسم موصول فى محل رفع خبر، يدع مضارع مرفوع وفاعله مستتر، اليتيم مفعول به وجملة يدع صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.
وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ	الواو عاطفة، لا نافية يحض مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر على طعام جار ومجرور متعلقان يمحض، المسكين مضاف إليه مجرور.
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ	الفاء هى الفصيحة أى إذا علمت أنه متصف بهذه الصفات فويل أو إذا كان الأمر كذلك فويل، ويل مبتدأ مرفوع للمصلين هى الخبر.
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ	الذين اسم موصول فى محل جر نعت للمصلين، وهم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ عن صلاتهم جار ومجرور متعلقان بساهون وهى الخبر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الذين.

(١) الطبرى ٢٠٣/٣٠.

الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ	الذين بدل من الذى الأولى ، هم مبتدأ وجملة يراءون خبر "داخلة فى حيز الصلة "ومفعول يمنعون الأول محذوف أى الناس أو المطالبين ، والماعون مفعوله الثانى.
---	---

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها :

- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴾ وغرضه التشويق لسماع الخبر والتعجب منه.
- الإيجاز بالحذف فى قوله تعالى ﴿ فَذَلِكَ الَّذِى يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ حيث حذف منه الشرط أى إن أردت أن تعرفه فذلك الذى يدع اليتيم وهذا من أساليب البلاغة.
- الذم والتوبيخ فى قوله تعالى ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ ووضع الظاهر مكان الضمير "قويل لهم" زيادة فى التوبيخ لأنهم مع التكذيب ساهون عن الصلاة.
- الجناس الناقص فى قوله تعالى ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾.
- السجع الجميل فى السورة كلها وهو من المحسنات البديعية.

